

المؤتمر العلميّ الدّوليّ الإلكترونيّ الأول لقسمِ اللغةِ العربيّة

كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة – جامعة كربلاء

العَرَبيَّةُ بينَ الوسيطين : الورقيّ والرّقميّ
– الواقعُ والآفاقُ -

بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة

للمُدّة من ١٧-١٨ / ١٢ /٢٠٢٠م

مؤتمر العربية بين الوسيطين الورقي والرقمي، الواقع والآفاق
المحور الثاني: المعالجة الآلية لعلوم العربية.

اللغة العربية وتحديات الرقمية، مبادرة للخروج

د. محمود الضبع

اللغة العربية وتحديات الرقمية، مبادرة للخروج

د. محمود الضبع

يوما بعد يوم يتزايد دور وتأثير التكنولوجيا على كل مظاهر الحياة وأحوال البشر فيها، بدءا من لغتهم وثقافتهم وطرق معيشتهم، وانتهاء بأحوالهم النفسية وأعماقهم البعيدة التي كان العلم يقف عاجزا أمامها.

وقد انتشرت التكنولوجيا على نحو أسرع من أي ظاهرة أخرى شهدها الكون عبر تاريخه، وأوجدت أشكالا جديدة من الهيمنة فيما يسمى بالاحتكارات الخمسة، وهي: احتكار التكنولوجيا الرفيعة، واحتكار المؤسسات المالية ذات النشاط العالمي، واحتكار القرار في الحصول على الموارد الطبيعية، واحتكار وسائل الإعلام على صعيد عالمي، واحتكار الوسائل العسكرية.

وهذه الاحتكارات هي التي تتحدد على أساسها أسهم كل منتجي الثقافة (على اعتبار أن الثقافة ذاتها غدت سلعة)، وتتحدد كذلك سلطة اللغة وقدرتها على النفاذ أو العكس (تراجعها وشعور أصحابها بفقدان هويتهم)، وهو ما يستدعي من أصحاب اللغة العربية التوقف لرصد أبعاد ومخاطر مستقبل ذلك، وتحديد بعض ملامح وإمكانات الخروج منه، إذ لم تعد – مثلا- المعالجات اللغوية الحاسوبية (الآلية) مجرد ترف يمكن للدول والشعوب واللغات أن تقوم به، وإنما غدت ضرورة حياة بدونها سيكون هناك غياب كامل للغة وثقافتها، تماما كما تشهده الحياة المعاصرة مع لغات وحضارات المايا والقبائل الأفريقية ومثيلاتها ممن فاتهم زمان تدوين لغتهم وتقنينها سابقا.

كل ذلك أنتج السيولة التي يعيشها العالم، والتي غيرت كل مفاهيم الحياة تقريبا

لتجعلها أكثر اقترانا بالرأسمالية، معتمدة في ذلك على الإعلام والإعلام البديل، وكل ما له صلة بالتأثير على الخطاب الثقافي والإعلامي لصالح خدمة أهداف محتكر هذه التكنولوجيا، ولصالح التأثير في العقول وإعادة صياغة الرأي العام العالمي وخلق المعتقدات لدى الأفراد وخلق الجماهير الداعمة لفكرة أو عقيدة ما يتم تصديرها عن طريق ما يسمى بالأربعة الكبار[1]، الذين يتحكمون في إعادة صياغة العقول، والمعرفة والمعلوماتية عالميا.

المعلوماتية ومجتمع المعرفة ولغتنا العربية.

أصبح الشعار الذي تتبناه مجتمعات المعرفة هو الانتقال من القوة البدنية إلى القوة العقلية وأصبحت المعرفة والمعلوماتية هي الطريق الأول للقوة، وللتطور الاقتصادي ولفرض الهيمنة على الكيانات والمؤسسات والدول، فكثير من الشعوب التي لم يكن لها ذكر عبر التاريخ أصبحت بفعل المعرفة والإنتاج التكنولوجي تمثل ثقلاً اقتصاديًّا، وقوة تتطور يومًا بعد يوم (فنلندا مثلا وإنتاج هاتف نوكيا المحمول، وماليزيا وتصديرها لعلماء الرياضيات، وغيرها كثير).

والسؤال المطروح هنا في ثقافتنا العربية سيدور حول المعرفة وطبيعتها وأنواعها، وأشكالها، وانتماءاتها، بمعنى قناعات الأمم والشعوب بمفاهيم المعرفة، وعلاقتها الأكيدة بالتطور الاقتصادي، فهل تعني المعرفة لدينا المعرفة الدينية البحتة ؟، أم استعادة النموذج الديني المعرفي القديم الذي كان ملائمًا لعصره في القرون الأولى لفكر الأمة؟، أم يعني محاولة استخلاص المعرفة النوعية عبر تطورها، وربطها بقضايا الاقتصاد المعاصرة،

---

[1] – "أربع وكالات أنباء عالمية فقط معروفة باسم "الأربعة الكبار" هي التي تحتكر نسبة 80% من إجمالي التدفق المعلوماتي العالمي، وأن مائة موقع فقط هي التي تستولي على 80% من إجمالي مستخدمي شبكة الانترنت، عبد الرازق الدليمي: الإعلام والعولمة، مكتبة الرائد العلمية، عمان، ٢٠٠٤م، ص١٠٢.

وبخاصة مفاهيم الإنتاج الفكري والمعرفي؟[2].

الوعي العربي لم يزل ملتبسا عليه الأمر في هذه القضية، إذ لا هو يستطيع القيام بعملية تنقية والتخلي عن كثير من التراث غير الصالح للتداول الآن، وفي الآن ذاته لم يستطع استيعاب مفهوم بناء قاعدة معرفية تجعل المعلومات سلعة تباع وتشترى، وتؤكد على مفاهيم التكتلات الاقتصادية، وأن ذلك بات ضرورة لا خلاف عليها، وبعدًا أساسيًّا من أبعاد تعريف الثقافة وتداولها.

اللغة العربية في هذا الشأن تحتاج للبحث العلمي، ليس في قضاياها اللغوية وتركيبها وأبنيتها، وإنما في برمجتها وتطويرها وقدرتها على مواكبة اللغات الحديثة والمستحدثة (لغات البرمجة وما يرتبط بها)، وفي نتاجها الثقافي والفكري الموروث وانتخاب ما يصلح منه للتداول الآن، وفي الإنتاج الحديث (استثمارا لمنجز أبنائها الفكري والعقلي والإبداعي) وتحويله إلى لغة تداول عالمية (أساليب وطرق إنتاج المحتوى المعاصر).

ماذا نملك في واقعنا العربي؟

هل يتبقى لنا شيء – نحن العرب- نملكه الآن لنساهم به في مجتمع المعرفة وننتجه في خطاب إعلامي يتمثل أبعاده ومحدداته وضوابطه؟

ألم يتجاوزنا الزمان بما أوجده من لغة تداول معاصرة، وتقنيات وأدوات إنتاج لا وجود لنا في عالمها، أو لا وجود لها في ثقافتنا؟

الحقيقة أننا نمتلك، ونملك الكثير مما يستطيع أن يصنع هوية حاضرة، ويجعلنا نحقق مستويات من التطور، ونسهم في الخطاب الإعلامي الجديد، غير أننا نحتاج أولا لرصد

---

[2] – للمزيد حول علاقة المعرفة بالإنتاج، وكيفية إعادة إنتاج تراثنا المعرفي في أشكال معلوماتية معاصرة، يمكن العودة إلى: محمود الضبع، الثقافة والهوية والوعي العربي، بتانة للنشر، القاهرة، ٢٠١٦م، الفصل السادس ص١٩٥، وما بعدها.

أبعاد ما نملك، وتوجيه مساراته ثانيا، والبحث عن الصيغ والجهود الداعمة التكاملية لإنتاجه وتبنيه من قبل الشعوب ثالثا.

نمتلك كنوزا –مثلا – فيما يسمى الصناعات الثقافية، والتي عرفتها اليونسكو بأنها: "الصناعات التي تنتج أعمالا فنية وأعمالا مبتكرة، سواء أكانت ملموسة أم غير ملموسة، ولها القابلية لتحصيل مردود مادي من خلال استغلال المخزون المعرفي والقيم الثقافية، سواء في المجالات التقليدية أو الحديثة"[3].

اللغة العربية والتحول الرقمي، كيف؟

إن تعزيز وحماية اللغة العربية وتمكينها من المشاركة في صناعة المنتج الثقافي العالمي، يتطلب وعلى نحو عاجل إجراءات مرجعية وجهودا ستعود بالضرورة إلى البدء من الوراء وصولا إلى الراهن، احتكاما إلى قراءة الواقع المعاصر والاستفادة من شتات المنجزات العربية في هذا الصدد، وهي:

- **أولا: تطوير المعاجم**

في ظل الأزمات العديدة التي تعاني منها المعاجم العربية، بدءا من كون آخر معجم مكتمل هو "لسان العرب" الذي مر على إنتاجه ما يزيد عن ٧٠٠ عام، وما يزال حتى الآن يعد هو المعجم الأكبر والمرجع الرئيس لكل باحث عربي، وعلى الرغم من محاولات مجامع اللغة العربية التحديث إلا أن سلطة المعاجم القديمة تظل هي الأعلى، لأن المعاجم الحديثة لم تستثمر لغة الإعلام المعاصر وآلياته لصالح تمريرها بين الناطقين بالعربية، وثانيا لأن اللغة تتطور (بوصفها كائنا حيا كما يعلن عن ذلك دائما متخصصو اللغة)، لكن

[3] – Alice loy: Definition of cultural industries, global center for cultural entrepreneurship, aavancing cultural entrepreneurs, building cultural economics, 2009.

المعاجم الحديثة لم تستطع مواكبة التطور الحادث في الاستخدام اللغوي للحياة، وبخاصة مع المنتجات المعاصرة، إذ تأتي متأخرة في إطلاق المسمى بعد أن يكون مصطلحها الأجنبي قد شاع بين الناس، وعندما تقترح المسمى فإنها تستخدم وصفا وليس مصطلحا، وعادة ما يكون غريبا على الواقع العربي المعاصر (صوتا ومعنى)، وثالثها عدم ربط اللغة بالإنتاج، إذ من لايملك اللغة لا يملك الإنتاج، ومن لا يملك الإنتاج لا يملك اللغة، وبالتالي تظل لغتنا في واد، واستخدامنا التداولي في واد آخر، فمن ينتج الآلة هو الذي سيسميها، وتسميته هي التي ستسود عالميا، ومن ينتج البرمجيات والتطبيقات والأفكار مثل : الأوفيس، واليوتيوب، والفوتوشوب، والفيس بوك... إلخ، هو الذي سيسميها، وهو الذي يمتلك أسرار برمجتها وتشغيلها وتوظيفها لصالح امتلاك المعرفة المتجة عبرها، وقراءة تراخيص الموافقة على استخدام البرنامج ستؤكد ذلك، لأنها تنص على أنها ستمتلك كل ما ينشر عبرها، ولها حق التصرف فيه، ولذا عادة ما نجد وثيقة التوقيع بالموافقة على استخدام البرمجيات طويلة وكثيرة التفاصيل، وبالتالي لا يقرؤها المستخدمون في العادة.

وأخيرا تأخر البحوث والدراسات في مجال علم المعاجم العربي، باستخدام المداخل والمفاهيم المعاصرة لهذا العلم، والتي لا تقتصر على مجرد دراسة المعاجم في ذاتها، وإنما تضم إليها تخصصات من علم النفس والمنطق وعلوم الذكاء الاصطناعي وعلوم المخ البشري والدماغ، وتدرس اللغة بوصفها ظاهرة مجتمعية وليس بوصفها مفردات معجمية.

غير أن السبيل المتاح أمامنا في المرحلة الحالية، هو الاستعانة بمنجز مجامع اللغة العربية في تنقية وتطوير المعاجم (المعجم الكبير في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومعاجم المجمع العلمي العربي في دمشق، والمجمع العلمي العراقي، وبيت الحكمة بغداد، ومجمع اللغة العربية الأردني، ومجمع اللغة العربية في السودان، والمؤسسات اللغوية في المغرب العربي

...إلخ)، ثم الاشتغال عليها بمفهوم "إنتاج المحتوى المعاصر" (إنتاجها عن طريق الميديا والتكنولوجيا وبأشكال متعددة وليس شكلا واحدا)، وهي أمور ليست صعبة وليست مكلفة كثيرا، يمكن للمؤسسات الثقافية العربية تنبينها بوصفها مشروعات تدخل ضمن إطار مهامها، وبخاصة لو تم وضع خطة عمل زمنية محددة تتوزع فيها الأدوار بين وزارات الثقافة العربية، والمؤسسات ذات الصلة، وفتح الآفاق لإنتاج خطاب إعلامي جديد عنها، السينما مثلا وإنتاج أفلام درامية حولها، على غرار أفلام: الكلمات، وحديقة الكلمات، والأستاذ والرجل المجنون، وغيرها كثير من أفلام استطاعت أن تضع قضية اللغة (الإنجليزية غالبا تبعا للدول المنتجة لها) في إطار إعلامي مجتمعي ليس داخل مجتمعاتها فقط، وإنما على المستوى العالمي، وهو ما يدخل في إطار القوة الناعمة واستثمارها لصالح القضايا الجوهرية المتعلقة بالهوية وبأهداف أخرى عديدة تصب في صالح خدمة بلد الإنتاج.

- **ثانيا: حوسبة اللغة**

علم اللغة الحاسوبي Computational linguistics يعني دراسة جوانب المعالجة الحاسوبية للغة المكتوبة والمنطوقة، للإسهام في حل مشكلات الترجمة الإلكترونية للغة العربية، واسترجاع المعلومات، والأنظمة التفاعلية عموما بما فيها من إملاء صوتي وتحويل المكتوب إلى منطوق أو النص الصامت إلى نص مرن، والمحللات الصرفية، والمعاجم الآلية .. إلخ، لأن ذلك جميعه يسبق الذكاء الاصطناعي[4]، والمرتبط بدوره بالإنتاج الإعلامي الجديد في مجتمع المعرفة.

[4] - Hans Uszkoreit. What Is Computational Linguistics? Department of Computational Linguistics and Phonetics of Saarland University, http://www.coli.uni-saarland.de/~hansu/what_is_cl.html

ولحل هذه المشكلات فإن الإجراء الأساسي الفاعل في ذلك هو الاهتمام بعلم اللغة الحاسوبي، وحوسبة اللغة من خلال التواصل مع كليات علوم الكمبيوتر، وكليات الحاسبات والمعلومات، وكليات الهندسة في جامعاتنا العربية لتحويل حروف اللغة العربية إلي حروف رقمية (Dijet) بدلا من كونها صورة (Image) كما هو حادث الآن، والأمر أيضا ليس مكلفا على أهميته، ويمكن تنفيذه من خلال مشروعات تخرج الطلاب في الجامعات، ولو أن كل كلية متخصصة في الوطن العربي استطاعت برمجة حرف واحد من حروف العربية ٢٨ لانتهينا منها في غضون عام واحد.

هذا الإجراء سيحل مشاكل ضخمة وخطيرة ومرعبة في مستقبلنا، إذ سيوقف الكتابة الفرانكو آراب، والكتابة التي تمزج بين الحروف والأرقام التي يستخدمها شبابنا على الأجهزة الإلكترونية، لأن الحرف العربي سيكون متاحا حينها وسيخف وزنه من مقياس الميجابايت إلى مقياس الكيلو بايت.

وسيسمح بإمكانية البرمجة العربية (إنتاج برمجيات)، والتحليل الصوتي، وتحويل المكتوب إلى مسموع، وغيرها من مفردات علوم اللغة الحاسوبية، أو حوسبة اللغة كما يطلق عليها.

كما أنه سيتيح إمكانية دخول اللغة العربية في سياق برامج الترجمة الصحيحة التي اعتمدتها جوجل منذ ثلاثة أعوام وتوقفت أمام العربية لعدم برمجتها، كما سيرفع المحتوى العربي على الإنترنت من نسبة ٣٪ الحادثة الآن إلى ما هو أعلى بكثير.

والأهم أنه سيسمح بإمكانية تحويل أي صفحة مكتوبة بالعربية إلى نص مرن قابل لتحريره وبرمجته عن طريق برنامج الأو سي آر (OCR) وغيره من برامج.

وتلك الخطوات تمثل ضرورة حتمية لا يمكن تأجيلها بعد اليوم، ولنا أن نسأل شركات البرمجة العربية عن صعوباتها في التعامل مع اللغة العربية الآن بسبب هذه الأمور.

- **ثالثا: إنتاج معاجم حديثة (المصورة، والمرئية، والتفاعلية)**

تصميم وإنتاج معاجم بطرق حديثة، تتناسب مع الاستخدامات المعاصرة واليومية للناطقين والمتعاملين مع اللغة العربية، وتعمل على تضييق الهوة بين لغة الحوار واللغة الفصحى، ومنها:

- المعاجم المصورة (لعرض تعريفات الكلمات على شكل رسومات أو صور، وبخاصة في المعاجم الثقافية والمعرفية والعلمية، وفي تعليم اللغة الأم،..إلخ)، ويتم فيها ترتيب المفردات تبعا للموضوع وليس الترتيب الأبجدي (معجم الرياضيات، معجم الأدب، معجم الفنون، معجم الكيمياء ... إلخ).
- المعاجم المرئية (القواميس المرئية) وتتكون من مجموعة من الصور الكبيرة المعنونة، يمكن من خلالها البحث عن اسم المكون في كائن أكبر، وتختلف عن سابقتها (المعاجم المصورة) في أنها تكون معاجم مكتملة بلغة واحدة أو بلغات عدة، وتداخلها لوحات أو صور كبيرة شاملة وعامة.
- المعاجم التفاعلية أحادية اللغة، وتعتمد على المعالجة اللغوية الآلية في عدة مستويات (صوتي، صرفي، نحوي، دلالي، إحصائي).
- المعاجم المبسطة للاستخدام العام (يستخدمها الأطفال والكبار والأمهات وغير المتخصصين ممن لا يستطيعون استخدام المعاجم الكبرى في العربية).
- معاجم دوائر المعارف، وهي سجل للعلوم والفنون والآداب وكل أشكال الإنتاج العقلي الإنساني، مثل دائرة معارف الموسيقى العربية مثلا، ودائرة معارف الخط العربي، ودائرة معارف الزخارف الإسلامية، وهكذا مما يمكن إنتاجه بجهود بحثية وعلمية تثري اللغة العربية المعاصرة وتربطها بتاريخها، والأهم أنها ستسهم في إنتاج

معرفي عربي معاصر له أسواق رائجة في كل العالم، ويكفي التدليل بمتابعة حركة بيع لوحات الخطوط العربية في العالم.

- المعاجم الناطقة التي تستخدم اللغة العربية الميسرة في نطق الكلمات المستخدمة وليست المهجورة، وهو السلوك المتبع في تعليم كل لغات العالم، تأكيدا لمهارات اللغة الأربع (الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة).
- إضافة إلى تطوير معاجم الترجمة، ثنائية أو مزدوجة اللغة، وبخاصة مع اللغات التي يندر فيها وجود مثل تلك المعاجم المشتركة مع العربية، مثل إنتاج معاجم عربية صينية إندونيسية ماليزية... وغيرها من اللغات التي تزايدت علاقات شعوبها مع العربية في السنوات الأخيرة بفعل مقتضيات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. إلخ.
- **رابعا: إيجاد منصات إعلامية عربية**

المنصات العالمية لإنتاج المعرفة واستثمارها إعلاميا ليست عربية جميعها، وإن كانت تدعم كل اللغات، إلا أنها لها حق امتياز الترويج الإعلامي من عدمه، وتحقيق المكاسب لصالحها، مثل منصات مواقع التواصل الاجتماعي الأكثر انتشارا بين الشعوب الآن، ومواقع بث الميديا والفيديوهات (اليوتيوب مثلا) وغيرها كثير.

من جهة أخرى فإن الشباب العربي يحترف استخدام هذه المنصات، وبعضهم يحقق من خلالها مكاسب مادية عن طريق الإعلانات عندما تصل مواقعه لأعداد ضخمة من المتابعين أو الزائرين، غير أن هذا الأمر يحتاج لوقفة متعددة الجوانب، لاعتبارات عدة:

أولها – أن المادة المعرفية (الإعلامية) التي يتم بثها لا تحقق أهدافا جوهرية في الغالب الأعم، إذ ترتبط في معظمها باليومي والمعيش، والأحداث الجارية، وباختصار لا تأتي

في سياق استراتيجية مجتمعية لصالح تقديم محتوى معرفي له قيمته مهما كان بسيطا.

وثانيها- أن الأرباح التي يحققها ناشرو هذه المواد لا تساوي شيئا أمام أرباح أصحاب المنصات والمتحكمين فيها عالميا، فهم أصحاب حق الامتياز أولا وأخيرا، ولهم حق استثمار هذه المادة بالكيفية التي يرونها.

وثالثها- أنها تستخدم لغة الخطاب المحلي على الرغم من كون بثها عبر منصات منتشرة عالميا، فنحن نخاطب أنفسنا نحن العرب، و لم أجد مثلا – إلا نادرا جدا جدا- فيديوهات عربية مترجمة إلى لغات أخرى لتحقيق أهداف الإعلام العربي عالميا، وكذلك الأمر في أفلام السينما والمسلسلات.... إلخ، ناهيك عن المحتوى المرتبط بالمحلية دون الوعي بتوجيه لغة خطاب عالمية يمكن التواصل معها عبر مختلف الثقافات والشعوب والأفكار في أنحاء العالم.

ورابعها – غياب دور الدول العربية ومؤسساتها الثقافية في هذا الجانب تماما، سواء على مستوى الرعاية والدعم، أو على مستوى إنتاج المحتوى العربي بمفاهيمه المتداولة في هذا السياق.

ولذا، ولغيره، فلابد للشعوب والحكومات العربية والمؤسسات المعنية وأصحاب القدرة أن يفكروا بمنطق مختلف في سياق الإجابة عن سؤال:

- **خامسا: التحول إلى لغات البرمجة**

تقتضي علينا الظروف الراهنة التي توظف الإعلام لصالح اختراف الشعوب، العمل على التحول من المعرفة الركامية لنتاج اللغة العربية إلى المعلوماتية (التي تعتمد اللغة مكونًا من مكونات الذات الثقافية)، فقد اعتمدت المعلوماتية في تطورها على لغات البرمجة (اللغات الاصطناعية كلغة بيسك وكوبول وباسكال) والتي اعتمدت بدورها في تطورها على اشتقاق الكثير من خصائص اللغات الإنسانية، ويمثل الذكاء الاصطناعي

همزة الوصل بين اللغة والمعلوماتية: حيث يرتكز ذكاء الآلة، في الأساس على محاكاة الوظائف اللغوية للمخ، وبالتالي تحتاج المؤسسات العربية العاملة في مجالي الثقافة والتعليم والإعلام، للعمل على نقل منجز هذه اللغة من كونه معرفة ومعلومات وقواعد ونظريات إلى كونه معلوماتية قابلة للإنتاج والتداول، وذلك من خلال مشروعات تتبناها هذه المؤسسات، وصيغ تتناسب وصناعة المحتوى بالمفاهيم العلمية المتعارف عليها الآن.

وأخيرا

فإنه من المعروف أن هناك دراسات وأبحاث وآراء تؤكد على أن مكونات حضارة العالم اليوم تعتمد على أبعاد ثلاث، هي البيولوجيا الجزيئية والمعلوماتية وعلم اللغة، إذ أصبح علم اللغة يتدخل في كل الظواهر الطبيعية والإنسانية، كما أن لكل علم لغته، وكل رمز أو علامة لابد من ترجمتها إلى لغة وإلا تكون عديمة القيمة، مثل لغة الجينات ولغة الكيمياء والرموز الرياضية، وغيرها.

وهو ما يؤكد أن اللغة العربية ودراساتها وأبحاثها وطرق تداولها الحالية، تحتاج على هذا الأساس إلى سرعة إعادة النظر فيها، وضرورة العمل على الدخول بها إلى مجتمع المعرفة وآليات المعلوماتية وهو الأمر المنوطة به وزارات الثقافة، ومؤسسات الإعلام والتعليم الجامعي وقبل الجامعي، لأنها الجسر الحقيقي والواضح بين الشعوب والمؤسسات الأكاديمية والبحثية والعلمية على اختلاف تخصصاتها وأدوارها.
